المنحى التداولي وفلسفة المعنى في الدرس اللّغوي العربي
-أسئلة التأصيل وآفاق التحديث-

The Pragmatic Approach and the Philosophy of Meaning in the Arabic linguistic lesson –Questions of Rooting and Prospects for Modernization-

فاطمة الزهرة المالحي*
جامعة باتنة 1 الحاج لخضر (الجزائر)
fatimazohra.elmalhi@univ-batna.dz

تاريخ الوصول 2021.03.22 تاريخ القبول 2021.05.01 تاريخ النشر2021.06.04

ملخص:

لقد أبدى علماء العربيّة أسسا منهجيّة وعلميّة في تحليل الخطاب، ومقاربة النصوص بمستوياتها المختلفة فتحدّثوا عن أسباب النّزول، والورود، وظروف الإنشاء، وسياقات القول ومقاصد الواضع، ومستعملي اللّغة ومراعاة شخصيّة المتكلّم والمخاطب، وما بينهما من علاقات، ومدار دراستنا تتمحور حول تداولية المعنى أو حصول الفائدة، حيث أُعتبرت مبدءًا من التعقيد والتّحليل، والتّفسير، والتّعليل، وذلك من خلال معالجتهم للعديد من الظواهر الأسلوبية والبلاغية النحوية؛ كالتقديم والتأخير ملخص: ، الفصل والوصل، والحذف، والنّفي والإثبات؛ وغيرها... من القضايا، فكيف عالج المحدثون ظاهرة المعنى وفقا للمنهج التداولي؟ هذا بالتحديد ما تهدف وتروم دراستنا كشفه وإبرازه.

الكلمات المتاحية: المنهج التداولي؛ فلسفة المعنى؛ التراث اللغوي العربي؛ النظريات اللسانية الحديثة.

Abstract:

Arabic scholars have shown methodological and scientific foundations in analyzing discourse and approaching texts at their various levels. They talked about the reasons for revelation, occurrence, conditions of creation, the contexts of saying and the intentions of the author and users of the language, taking into account the personality of the speaker and the addressee, and the relationships between them. Our study revolves around the pragmatics of meaning or the occurrence of interest, as it was considered by scholars as a principle of complexity, analysis, interpretation, and explanation through their treatment of many stylistic and grammatical phenomena, such as submission and delay, summary, dismissal, connection, omission, negation and affirmation; It also our study aims at revealing and highlighting how the modernists treat meaning according to the deliberative approach.

Key words: pragmatic approach; philosophy of meaning, Arabic linguistic heritage; modern linguistic theories.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

نسعى في هذا المقال البحث في موضوع تداوليّة المعنى في التراث اللّغوي العربي؛ النحوي والبلاغي والاهتمام والتنظير له كأداة إجرائيّة في الدّرس اللّساني القديم والحديث. فقد اشتغل نفر من العلماء العرب والغرب قديما وحديثًا في تتبّع أصولها وتطبيقاتها في عدد من المؤلّفات والمواضيع لذا كان لزاما علينا أن نتعرّف على طرق تطبيقهم على نصوص القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف، بغرض دراسة المعاني التي تطرأ على الملفوظات.

وقد عُنيّ البحث في ظاهرة المعنى بين النحاة والبلاغيين والأصوليين إلى الفلاسفة والمناطقة وعلماء الدّرس اللسانيّ التداوليّ الحديث، وسنخصّص دراستنا هذه في دراسة ظاهرة نحويّة بلاغيّة تداوليّة ألا وهي: " ثنائيّة النّفي والإثبات " وبناءً على هذا فقد أخذت الدراسة وفق مقاربة تداوليّة. أمثلة ونصوصا لغويّة مختلفة من القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف والشعر وغيرها ...من الخطب المختلفة، أمّا المنهج المعتمد فقد اقتضت الدراسة المزاوجة بين المنهجين الوصفي والتداولي، تثير الدراسة جملة من التساؤلات نذكر أهمها: كيف تتجسّد ظاهرة المعنى لدى العلماء العرب والغربيين؟ وكيف عالج المحدثون ظاهرة المعنى وفقا للمنهج التداولي؟

2. إشكاليّة المعنى عند العلماء العرب والغربيين

يعدّ موضوع اللّفظ والمعنى نقطة مركزيّة في الدراسات اللّسانية العربية والغربية يعتمد النّحاة للكشف عن ملامح المعنى في نص من النصوص المختلفة على «**دلالات الألفاظ والتراكيب، فكان السّعي لفهم نص ما، والكشف عن مغاليقه وسبر أغواره، والبحث في أساليبه، الإطار المُحدّد لطبيعة هذا الاتجاه، واتجاه البحث فيه، لذا ركن النحاة إلى العناية بالمعاني والألفاظ والعلاقات بين التراكيب**»[1].[2]

واعتمد النّحاة معيار (المعنى) أساسًا قويّا في تعليل الأحكام النّحوية واستقراء قواعد النّحو، وعدّ معيارًا مهمّا في قبول الأحكام، أو ردّها، ومقياسا لقياس صحة الكلام وجودته، قال المُبرّد: " فكل ما صلح به المعنى فهو جيدٌ، وكل ما فسد به المعنى: فمردود، وأيّده "ابن جني" قائلا: "فإذا كان الكلام إنّما يُصلِحهُ أو يُفسِده معناه"، كما يؤكّد النحاة على تلازم دلالة المعنى مع دلالة الإعراب، وقدّموا العناية بالمعاني على عنايتهم بالألفاظ، فكانت عنايتهم بالدلالات اللّفظية بابًا للكشف عن المعنى في النصوص المختلفة...كما يبرز عامل(المعنى) عاملا موجّها وفاعلا في بنية الخطاب القرآني، وهي بنية مقصودة متماسكة، ولا تختلف في بنيتها ومكوّناتها وأنظمة بناء الجملة عن بنية النص الأدبي العربي، إلّا أنّ الذي ميّز الخطاب القرآني هو أسلوب نظمه المعجز، وأنظمة تأليفه، وانسجام ألفاظه وتلاؤمها بعضها مع بعض، فهو كما قال الباقلاني: " جنس مميّز

متميّز، وأسلوب متخصّص، وقبيل عن النظم متخلّص "، **فاللّفظة والتركيب والسياق النسيج الذي يؤدّي إلى المعاني المقصودة في الخطاب القرآني، قال الخطابي: واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصح المعاني»**.[3]

سنحاول في هذا الصدد الوقوف عند بعض مفاهيم ومستويات المعنى (le Sens) كما حدّدها علماء الدرس اللساني الحديث:

1.2 تقسيم كلاوس (Klaus) المعنى إلى قسمين:

أ–المعنى الماهوي (le sens eidétique) والمعنى الإجرائي(le sens opératoire) ويرى أنّه من الضروري التّعرض إلى الفرق بين المعنى الإجرائي للعلامة أو التأليفيّة من العلامات لإبراز على الأقل كيف يمكننا معالجة المشاكل اللّسانية باستعمال الحاسوب الالكترونيّ.

ب–إنّ المعنى الإجرائي للعلامة يلخّص علاقات وقواعد تركيبيّة موجودة في لغة ما ويثبت الكيفيّة التي تتألّف بها العلامات في التعبير، وكيف أنّ هذه التعابير يمكن أن تتغيّر.[4]

2.2 المعنى التعييني والمعنى التضميني:

أ–التعيين: المعنى التعييني بمعنى المرجعيّة (**le référence**) ويقصد بالقيمة التعيينيّة لوحدة معجميّة العلاقة القائمة بين هذه الوحدة وماهو خارج عن النّظام اللغوي من أشخاص وأماكن وخصائص وسيرورات ونشاطات.

والواقع أنّ مسألة (المرجعيّة) تختص بالملفوظات، وتنطبق على العبارات المرتبطة بالسياق، لا على الوحدات المعجميّة وتقع خارج السياقات التلفّظية، إلّا أنّ هذا لا يعني عدم وجود أيّة علاقة بين التعيين والمرجعية، إذ يرتبطان بما يسمّى ببديهيّة الوجود.

ب–التضمين:

إنّ اللغة التضمينيّة هي التي تؤسّس النص الأدبي وتمدّه بما هو جماليّ وشاعريّ، فالأدب لا يتأسّس إلّا بتحرّره ممّا هو معجميّ تقريري، اعتمادا على ما تقدّم يتّضح أنّ للمعنى علاقة وطيدة بالسياق إذ يعتبر المعنى مسألة ضروريّة وحاسمة يتوقّف عليها تحديد سياق الكلام، وإن كان تحديد مفهوم المعنى جد صعب كما يقول (غريماس)، ويضمّ مستويات عديدة اقتصرنا فقط بالإشارة إلى بعضها.

3. قضايا المعنى في التداوليّة:

1.3. مفهوم التداوليّة:

إنّ من الصعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية، ولعل ذلك يرجع لنشأتها ولتداخلها مع علوم عديدة كما أن التداولية ليست فرعا أو مستوى تحليليا من مستويات التحليل اللغوي فهي لا تقتصر على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة، وليس لها أنماط تجريدية، ولا وحدات تحليل، وكذلك قد لا تنضوي التداولية تحت علم من العلوم التي لها علاقة باللغة على الرغم من تداخلها مع هذه العلوم في بعض الجوانب[5].

وقد ذكر نعمان بوقرة أنّ التداوليّة «مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرف وكيفيّات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقاميّة المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية...إلخ ».[6]

أي البحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلي للغة. ويعود الاستعمال الحديث والحالي للتداولية للأمريكي " شارل موريس" (charles mourris) عام 1938 في كتابه "أسس نظرية العلامات" ففي تعريفه للتداولية يقول: «**التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات**».[7] وهذا تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.

إذن التداولية عند "تشارلز موريس" هي جزء من السيميائية وأحد مكوناتها تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعمليها أو مفسريها (متكلم، سامع، قارئ، كاتب...) وتحديد ما يترتب عند هذه العلامات.

وتعرفها "**فرانسواز أرمينغو**" «بأنها تعني دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية».[8]، أي انّها تعنى باستعماليّة اللغة في الخطابات المختلفة.

وتُعنى التداولية بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به، أي العلاقة بين النص والسياق، ويلاحظ باستمرار تلك العلاقة الوثيقة بين التداولية والدلالة، إذ يجمع بينهما مستوى السياق المباشر، مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية والبلاغية[9]، ويأتي مفهوم التداولية ليغطي بطريقة منهجية المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة بعبارة (مقتضى الحال) ولعل انصرافها إلى المقام، جعل بعض الباحثين يرى فيها «دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة».[10] أو هي «العلم الذي يدرس

تأثير المقام في معنى الأقوال».[11] أي دراسة الاستعمالات الفعلية لحظة الكلام وما يتولد عنها من دلالات في المقامات الخطابية، في إطار التواصل ومقاصد الخطاب اللغوي.

من خلال تحليل التعريفات المقدمة للتداولية نستخلص عدة نقاط تمثل مفهوما واضحا للتداولية يمكن الانطلاق منها:

- **دراسة استعمال اللغة: أي كيف نستعمل اللغة في الاتصال.**
- **علاقة اللغة بالسياق أو الأبعاد الاجتماعية التي تحكم الخطاب.**
- **كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلم الذي يقصد تبليغه.**
- **التعامل مع علاقة العلامة بمؤولها أي كل الظواهر النفسية والاجتماعية التي تظهر في توظيف العلامات.**

4.التداولية في التراث اللغوي العربي:

يمكن تتبع مرجعية النظرية التداولية في التراث اللغوي العربي، من خلال عدة مجالات معرفية أهمها:

1.4 البلاغة العربية:

تعد البلاغة العربية سابقة تاريخية للسانيات النص عموما، واللسانيات التداولية خصوصا. ويمكن استنباط مواطن الارتباط بين التداولية والبلاغة العربية انطلاقا من بعض أقوال اللغويين القدامى مثل:

أ.عبد القاهر الجرجاني: (ت 471 هـ)

فهذه المقولة وردت في سياق الحديث عن نظرية النظم وما تتعلق به من قضايا أهمها:

- الحديث عن مقاصد المخاطب حين قال بترتيب المعاني في نفسه.
- الحديث عن الاستعمال حين قال بتحديد مواقع الألفاظ عليها في النطق، وذلك بعد تحديد مواقع معانيها في النفس.
- إن المعاني دائمة متغيرة الألفاظ، وذلك تبعا للظروف والحال والمقام الذي يحل به المخاطب[12].

كما أن استعمال عبد القاهر الجرجاني لعبارة "اعلم أنَّ " أو " اعلم أنك" في كثير من المواضع في كتبه البلاغية دليل على اهتمامه بالمخاطب.

ب.أبو هلال العسكري: (ت 395 هـ)

حيث أورد في حديثه عن البلاغة المقولة الآتية: «**ومن تمام آلات البلاغة التوسع في معرفة العربية، ووجوه الاستعمال لها، والعلم حافز الألفاظ وساقطها ومتخيرها ورديئها ومعرفة المقامات وما يصلح في كل واحد منها من الكلام**». [13]

فهو يرى أن من مهام البلاغة تخير الألفاظ على حسب اختلافها (رديئة، حسنة) تبعا للمقام الذي يناسبها، أي أن البلاغة تراعي جانب الاستعمال في اللغة وهذا ما داعته التداولية. كما يشير في موضع آخر في كتابه "الصناعتين" إلى السياق المقامي حيث يقول: «**ولا نكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، لأن ذلك جهل بالمقام وما يصلح في كل واحد منها من الكلام، وأحسن الذي قال: "لكل مقام مقال"**».[14]وفي هذه المقولة إشارة إلى أن المتكلم يجب أن يراعي حال المخاطب ووضعه الاجتماعي، وبالتالي مراعاة المقام الذي هو أداة فعالة في البلاغة والتداولية معا.

2.4 علم النحو:

يعد علم النحو من العلوم اللغوية التي ارتبطت ببعض المفاهيم التداولية كونهما يهتمان بالتركيب اللغوي وخصائصه، وذلك من خلال مراعاته للمتكلم والمستمع والكلام في حد ذاته، إضافة إلى عنصر "المقام"، وغيرها من المصطلحات التداولية التي تهتم باستعمال اللغة. وفيما يلي بعض الشواهد الدالة على ذلك:

أ.ابن هشام الأنصاري: (ت 761 هـ)

يعرف ابن هشام الأنصاري الكلام بأنه: «**ما تحصل به الفائدة سواء أكان لفظا أو خطأ أو إشارة أو نطق به لسان الحال**» [15]، فمن المعلوم أن النحو يهتم بدراسة الكلام بمختلف وحداته، وحتى تحصل الفائدة منه، يجب توفر طرفي التواصل .

المتكلم: باعتباره فاعلا للكلام.

المستمع: وهو متلقي الكلام، مع ضرورة التأكيد على قصدية المتكلم. كما نوه ابن هشام أيضا إلى بعض وسائل التواصل إما بالألفاظ (المنطوقة) أو التعابير الكتابية، أو عن طريق الإشارة. وبما أن هذا العنصر يتناول

النحو فإنه يرتبط بالكلام المنطوق أو المكتوب فقط. فعندما اشترط النحاة حصول الفائدة من الكلام، فهو على وعي بالجانب التواصلي، المتكلم وقصده، الكلام ومحتوياته، والمستمع وكيفية حصوله على الفائدة.

ب. سيبويه: (ت 180 هـ)

أشار "سيبويه" إلى أنماط الكلام تبعا لمفهوم الاستعمال اللغوي أي من منظور تداولي وقسمه إلى:

- **مستقيم حسن: مثل: أتيك أمس، سآتيك غدا.**
- **محال: مثل: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.**
- **مستقيم كذب: مثل: حملت الجبل، شربت ماء البحر.**
- **مستقيم قبيح: مثل: قد زيدا رأيت[16].**
- **محال كذب: مثل: سوف أشرب ماء البحر أمس.**

وهذا التقسيم بين أن سيبويه كان على دراية بالجانب التواصلي وعناصره: المتكلم، الكلام، المستمع، والتأكيد على ضرورة حصول الفائدة (المعنى من الكلام).

أ– من الجملة إلى القول: التداوليّة لا تدرس دلالة الجملة لأنّ ذلك من مشمولات الدلالة التركيبيّة (الفاعلية، المنفّذ، الموضوع، المحمول...) ما تدرسه التداوليّة هو القول. ويعني القول وجود مقام يؤثر في دلالة الجملة المنطوقة. إذن التداولية مجالها الإنجاز (القول) وليس النظام (الجملة).

ب–المقام: يتدخّل المقام في تحديد دلالة القول فهو عنصر أساسيّ لتحقيق التواصل. ويتمّ التواصل عند "جاكبسون" من خلال جملة من العناصر:(باث متقبل قناة سنن رسالة مرجع). نلاحظ أنّ الرسالة التي يراد تبليغها من القول تتغيّر بتغيّر عناصر المقام: زمان/ مكان /باث/ متقبّل. فمثلا القول "صباح الخير" يتحوّل من الجدّ إلى الهزل إذا نطقناه في العشيّة بدلا من الصباح.

مثال التحية وتغيّر الأزمنة والأمكنة. ونلاحظ أنّ القول يحمل الكثير من المشيرات المقاميّة التي تساهم في تحديد دلالة الجملة مثل اسم الإشارة وضمائر المخاطب والمتكلّم.

جـ–السياق:

إنّ الفائدة لدى السامع لا تحصل إلّا باستيفاء بعض الشروط التي يكون بها الكلام (كلاما) أيْ خطابا متكاملًا يحمل رسالة إبلاغية واضحة يريد المتكلّم إيصالها إلى المخاطب، وبأي شكل كان مدام المتكلّم محافظا

على معنى ما يريد إيصاله للمتلقي، فلكلّ بنية تركيبية إذن معناها ومقصدها وغايتها التداوليّة ولكل صيغة لفظية وظيفيّة إبلاغية توجبها ملابسات الخطاب وأغراضه ومن أهم تلك الملابسات والأغراض مراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب.[17]

5.المعنى عند العلماء الغربيين:

إنّ ما تهتمّ به التداوليّة وتوليه اعتبارا مهمّا هو "المعنى" من خلال تساؤلاتها الأوّلية وهي:

ماذا نصنع حين نتكلّم؟ وماذا نريد أن نقول تحديدا، وهل من الممكن أن يخالف كلامنا مقصدنا؟تقودنا الأسئلة السابقة إلى لبّ ما تعتني التداولية به وتروم البحث فيه وهي:

-المتكلّم والمخاطَب وظروف وملابسات وأحوال استعمال اللّغة.

-الاهتمام بمظاهر التأويل والسياق والمقام.

-تحليل الخطاب ومقاصده المختلفة والمتنوّعة.

1.5.نظريّة الأعمال اللغويّة بين سيرل و أوستين:

صاغ هذه النظريّة كلّ من أوستين ثمّ سيرل وهي تتعلّق بمفهوم العمل اللغويّ بما هو تعبير عن اعتقاد المتكلّم حول القضيّة. فالقضيّة (زيد كريم) توجد حولها في أقوال كثيرة دلالة إنشائيّة تداوليّة غير صدقيّة تعبّر عن أعمال مختلفة منها الإخبار (زيد كريم) التمنّي (ليت زيدا كريم) والنفي (ليس زيد كريما) والشكّ (لعلّ زيدا كريم)..

تقوم هذه النظريّة على جملة من المفاهيم يمكن أن نتبيّنها من خلال الأمثلة السابقة:

أ- العمل القضويّ: هو القضيّة المشتركة بين الأقوال السابقة: (زيد كريم)

ب- العمل اللغويّ: هو ما تسمه اللغة من دلالة إنشائيّة حول القضيّة عن طريق أدوات نحويّة (هل، ليت، لعلّ..)

جـ- العمل المضمّن في القول: هو ما يعبّر عنه اعتقاد المتكلّم ويقصده فعليّا في مقام محدّد. فمثلا لو سخرت ممّن يسبّ زيد وأنت تعرف أنّه كريم فقلت (ليس زيد كريم!) فالعمل اللغوي هو النفي لكن المضمّن في القول هو السخرية.[18]

د– عمل التأثير بالقول: هو ما يحدث من ردذة فل حقيقيّة بسب العمل المضمّن في القول، فعند سخريتك لو خرج مغتاب زيد أو احمرّ وجهه غضبا فذلك السلوك الفعليّ تأثير بالقول.

هـ– القوّة القوليّة : هي القيمة الدلاليّة للقول فتكون نفيا أو سخرية أو تهديدا. فلو قلت لمن اشترى هدية لم تعجبك: "هل هذه هديّة يشتريها الناس؟" لكانت قوّة القول هي اللوم لا الاستفهام ولو قلت لك "هل أنت جائع؟" لكانت قوّة القول هي الاستفهام. قوّة القول إذن يمكن أن تناسب العمل اللغويّ إذا اكتفينا به وقد تناسب العمل المضمّن في القول إذا قصدنا غير ما وسمته اللغة.

و– الفعل الإنشائيّ: هو فعل افتراضيّ نقيس بها قوّة القول. ففي المثال "هل أنت جائع" قوّة القول تعّبر عن الفعل "أستفهم" وفي المثال: :"هل هذه هديّة يشتريها الناس؟" قوّة القول نقيسها بالفعل "ألوم".

كان سورل قد طوّر نظريّة سورل وراجع تصنيف الأعمال اللغويّة التي اقترحها أوستين دون أن يخرج عن أساسيّات النظريّة. وقد نقد شكري المبخوت في كتاب دائرة الأعمال اللغويّة هذه النظريّة وراجع تصنيفها فهي عنده نظريّة فلسفيّة والعمل اللغويّ في رأيه يمكن النظر إليه من منطلق بلاغي ضمن مفهوم الإنشاء الطلبي وغير الطلبيّ.[19]

2.5. الاستلزام الحواري عند بول غرايس:

تقوم هذه النظريّة على جملة من المبادئ أهمّها الاهتمام بالعمل اللغويّ غير المباشر (المتضمّن في القول حسب نظرية أوستين). وتركّز على تحقيق هذا العمل وما يتعلّق به عند إجراء محادثة بين طرفين من استلزامات ومعاني. فالمتحادثون يلتزمون بما يشبه العقد الثنائي وفق مبادئ وهي:

– الجمل الخبريّة ليست كلها خاضة لشروط الصدق. فقولي مثلا "حان الوقت" لا أخبر به عن موعد بل أطلب إنهاء الحديث.

– توضيح طريقة الانتقال في التأويل من الشكل اللغويّ الحرفيّ إلى متضمّنات القول. مثلا عن طريق التنغيم أو قسمات الوجه.

– وجود إطار منطقيّ ونفسي مشترك لتبادل الكلام ونجاح المحادثة يعبّر حيث يتّفق المتحادثان على احترام جملة من التعليمات الحواريّة. يقول غرايس: "ليكن إسهامك في الحوار مطابقا لما يفرضه عليك هدف المحادثة وتوجّهها الذي التزمت به". يتحقّق ذلك من خلال أهمّ مبدأ في النظريّة وهو التعاون (**cooperative principle**). **وأهمّ خصائصه:**

–الكم: quantité القدر المطلوب من القول/ الكيف: qualité قول ما تعتقده صادقا/ المناسبة: pertienece أن تقول باقتصاد ما يناسب فائدة المحادثة/ الصيغة: modalité الوضوح واجتناب اللبس والفوضى والتعميم.

هناك إذن معاني صريحة تقال (قضوية، أعمال لغويّة) وهناك معاني ضمنيّة مثل الاقتضاء واستلزامات المحادثة.

3.5 نظريّة الإفادة عند سبيربن وولسن:

تمثّل هذه النظريّة العرفانيّة التداوليّة تركيزا على **"مبدأ المناسبة"** (**pertienece**). القول المستعمل في الحوار يكون مناسبا للفائدة من الحوار. أن تقتصد في القول فلا تستخدم من الدلالة إلا ما يفيد الحوار. فاللغات في نظامها قائمة على الاقتصاد في الاستعمال ويخضع ذلك لنوع من الاستدلال في مقام التخاطب فالمتكلم يعطي إشارات يقوم السامع بتأويلها في فهمه ويستدلّ على دلالتها بذهنه. المتكلم ينتقي دائما القول الأكثر تعبيرا وممتلئا بالدلالات المناسبة بأقل مجهود ذهنيّ. وهو لا يبذل جهدا جديدا في قول جديد إلا إذا كان المقام يتطلب ذلك **حسب مبدأ المناسبة. فكل مجهود عرفاني** ذهني يناسب تأثيرا مقصودا في المقام وفهم السامع. قيمة هذه النظريّة تكمن في ربطها لأوّل مرّة بين العرفانيّة والتداوليّة. فجمعت بين نظام اللغة الذهنيّ وأبعاده التداوليّة المقاميّة.[20]

.4.5 المعنى التداوليّ:

من خصائص المعنى التداوليّ كونه « **معنى استعماليّ وإدراكه والتوصّل إليه يتوقّف على ما يؤطّر هذا الاستعمال من معارف خلفيّة تشتغل بشكل مباشر وبصورة غير مرئية، إنّ المعنى المباشر أو المعنى الحرفيّ باصطلاح "سيرل" J.Searle يطبق على معرفة خلفيّة...إنّ هذه المعرفة هي التي تسهم في توفير الفهم المشترك للمعنى الحرفيّ** ».[21]

نورد مثالا توضيحيّا:

هب أنّ متكلّما هو الرئيس الأمريكي، بينما كان يجرب الميكروفونات قبيل انطلاق مؤتمر صحفي، قال:

- سآمر بقصف روسيا بعد دقائق.
- فإذا فهمت هذه العبارة بناء على قواعد اللّغة التي جاءت بها، فإنّها تعني ما تعنيه من أن المتكلّم سيأمر بعد لحظة بإطلاق النار على الأراضي الروسيّة، لكن المتكلّم لما استفسره الصحفيون حول هذا الأمر لا

يتعلّق بذلك طبعا، وأن ذلك كان مجرّد دعابة فهو لا يقصد ما يعنيه، وبذلك سيكون المخاطب على ضلال إن هو أخذ الملفوظ على ما فيه من معنى مباشر.

6.المعاني غير المباشرة:

إنّ المتكلّم او مستعمل اللغة يجد نفسه لا إراديّا مستخدما ذرائع متنوّعة للتعبير عن رؤياه لشيء ما أو رأي ما بطريقة غير مباشرة أو مباشرة ولعلّ ذكاء المتلقّي ومقدرته اللغوية وكفاءته التداولية والتأويلية في استحضار استدلاليّ للملفوظ واستنطاقه وصولا للمعاني غير المباشر(الضمنيّة).

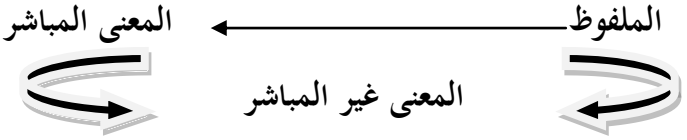

هذا، ونجد من مظاهر المعنى الضمني او الخفيّ في الدرس التداوليّ الصور الخطابيّة الآتية الذكر:

1.6.ظاهرة الاستلزام الحواري:

ظهر هذا المصطلح مع "غرايس" حيث يعتبر الاستلزام الحواري من أبرز المفاهيم التي تميّز اللّغات الطبيعية في عملية التخاطب وارتباطها بالمعنى وبالعديد من الجمل ومقامات إنجازها. والانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى غير المصرّح به (المستلزم).[22]

2.6 الاقتضاء:

إنّ من أبرز المفاهيم التي تقوم عليها التداوليّة "الاقتضاء" حيث يتعلّق بالملفوظ أو المنطوق أو بنظريّة أفعال الكلام لأنّ الوصول إلى المقتضى لا يتمّ إلّا بعد معرفة المعنى الحرفيّ مع اعتبار السياق وقواعد التخاطب.[23]

7. الدّراسة التطبيقية:

تشمل اللغة العربيّة كغيرها من اللغات الطبيعية على أدوات دالّة على " معان" أي على "قوى إنجازيّة" مختلفة بتعبير المعاصرين، والتي سمّاها النحاة "حروف المعاني" وهي التي تثري العربية بأساليب كثيرة متنوّعة صالحة لمقامات تواصليّة متباينة حسب إرادة المتكلّم وقصده، كدلالة (رُبّ) على التقليل و(كم) الخبريّة على التكثير وأدوات النّفي وسنعرضها بشيء من التفصيل.[24]

1.7 أدوات النّفي ودلالتها الزّمنية:

يتّخذ موضوع "النّفي" في العربية أسلوبا صريحًا وآخر ضمنيّ، يُفهم من سياق الحديث، وللعربيّة في نفيها أدوات لا تخرج عن نطاق الجملة الاسمية والفعلية، حدّدها النحويون والبلاغيون، تنقسم إلى اسم، فعل، وحرفٍ.[25]

أ- الاسم: (غَيْر).

ب- الفعل:(ليْسَ).

ت- حروف النفي هي: (ما، إنْ،لاتَ، لنْ، لمَّا و لَا)،

(لا، ما، لم، ليس، لن)، وهي الأكثر شيوعًا واستخدامًا، أمّا الأدوات الأقلّ استعمالا هي: (إنْ، لاتَ ولام الجحود). [26]

ونستنتج من ذلك قدرة الحرف على التعبير عن الدلالات المختلفة، إذ تتغيّر دلالته بحسب بناء الجملة وطريقة إئتلاف الألفاظ، كما تنبّه النحاة من خلال دراستهم العميقة لدلالات الحروف في القرآن الكريم على ظاهرة (الامتداد الزمني والمعنوي لحروف النّفي) مع بقاء الحرف على دلالته الأصلية، وهذا الامتداد تتحكّم فيه طبيعة محتوى الخطاب القرآني الشموليّ، ومنه اتساع النّفي ب(لا) ليشمل زمن الحال، فقد ذهب السهيلي إلى أنّ امتداد لفظها بامتداد معناها، فالنّفي ب(لا) في موضع اقتران حرف الشرط بالفعل يدلّ على العموم ويشمل جميع الأزمنة كقوله تعالى:" إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء للهِ مِنْ دُونِ النّاس فَتَمَنُّوا المِوتَ"[27].

أمّا (لن) فيظهر قصور معنى النفي ودلالته على القرب في الكلام في قوله تعالى" وَلَنْ يَتَمَنَّوه".[28]

"يرتبط المعنى عند أطراف التواصل بالقصد، وقد عني "السكاكي" كما العلماء العرب بالقصد أيّما عناية، لعلمه بأهميّته في تعرف أغراض المتكلمين، معبّرا عن القصد بلفظ "الإفادة" عبّر الأصوليون بلفظ "القصد" ذاته، عندما تحدّثوا عن مقاصد الخالق وربطوها بمقاصد المكلّفين".[29]

2.7.أمثلة تطبيقية:

يلعب السياق دورا رئيسًا في إحكام "المِعْنَى" وانطلاقا من القاعدة السياقيّة التي تقول أنّ بعض التراكيب لها أكثر من معنى داخل السياق توجّب علينا النظر في قصد المتكلّم أو غرضه من الكلام؛ لأنّ اختلاف قصد المتحدّث كثيرا ما يؤدّي إلى تغيير في معنى التركيب ونضرب مثالا في قول "سيبويه" :ما أتاك رجلٌ، فكلمة رجل تعني العدد

فيكون المعنى : ما أتاك رجلٌ، بل اثنين أو أكثر ، وقد تعني الجنس أي ما أتاك رجل بل امرأةٌ،...إنّ قصد المتكلّم عند سيبويه هو الذي يحدد معنى من المعاني المحتملة. [30]

8.خاتمة:

وصفوة القول، أنّ المعنى التداوليّ كان من ضمن اهتمامات العلماء العرب والغربيين، ومن أهم المفاهيم التي عني بها النحاة والبلاغيين وكذا الأصوليون، كمبدأ " الإفادة " في الجملة العربية بعدّها شرط مهم لأي تواصل لغوي، ومبدأ أخر ألا وهو "السياق" و"مراعاة الغرض" و"القصد" كلها مبادئ ومفاهيم لم يغفل عنها المعاصرون التداوليون واعتبروها أسسا وقواعد لتحليل الخطاب كمراعاة "قصد المتكلّم" وحال السامع"..... ومنه فالمعاني والإفادات عدّت أفعالا كلاميّة أو قوى إنجازيّة نظرا للسياقات والمقامات المختلفة ومقصديّة المتكلّم أيضا.

أهم النتائج المتوصّل إليها:

1-شغل المعنى مكانة مهمة لدى علماء اللغة العرب والغربيين على اختلاف توجّهاتهم وأبحاثهم.

2-تشابك ما بحث عنه العلماء العرب والغربيين في البحث عن المعنى وملابسات وأحوال المخاطب.

3-استعماليّة اللغة في الخطاب هو ما تهتم به التداولية وتحاول تبيان مقدرتها وقوّتها الإنجازيّة ولعل هذا ما زيد على البحث في المعنى التداولي.

9-الهوامش:

[1]- دار الكتب العلمية-ط1، بيروت-لبنان، 2012 هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النّص، تقديم: كريم حسين ناصح الخالدي، ، ص 203 .

[2] - المرجع نفسه، ص 204-205.

[4]- علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة مؤسسة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء-المغرب، 1421هـ-2000، ص 40.

[5]- ينظر : محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، الاسكندرية، ط1،2006، ص 109 .

[6]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2003، ص 15.

[7]- نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص 176.

[8]-- فرانسواز أرمينغو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، 1986، ص 62.

[9]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم لغة النص، الشركة المصرية، القاهرة، ط1، 1996، ص 238.

[10]- جاك موشلار، وآن ديبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص 677.

[11]– جاك موشلار، وآن ديبول، التداولية اليوم، ترجمة سيف الدين غفوس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2003، ص 264.

[12]– نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، الجزائر، ط 1، 2009، ص 33.

[13]– أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تح: محمد علي محمد اليحياوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ص 25.

[14]– ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: حسن حمد، مرا: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ،2005، ص 29.

[15]– سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ص 14.

[16]– المصدر نفسه، ص 14.

[17]– عرفات فيصل المنّاع، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، لندن، 2013، ص83.

[18]–http://semantique3.blogspot.com-.19:38 الساعة:2016مايو4 الاربعاء في/

[19] http://semantique3.blogspot.com-.19:38 الساعة:2016مايو4 الاربعاء في/

[20]– عبد السلام إسماعيلي علوي، تداوليات التأويل، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد–الأردن، 1432هـ–2011، ص 208.

[21]– العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة، دار الأمان، ط1، الرباط–المغرب، 1432هـ–2011، ص18.

[22]– عماد عبد يحي الحيالي و أشواق محمد اسماعيل النجار، الاقتضاء التداولي وأبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، ص 67.

[23]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 1429هـ–2008، ص 265.

[24]– ينظر: محمد خان، لغة القرآن الكريم "دراسة لسانية تطبيقية للجملة سورة البقرة "، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 21.

[25]– ينظر: المرجع نفسه، ص121.

[26]– الجمعة، الآية رقم: 06.

[27]– البقرة، الآية رقم:95.

[28]–– أجعيط (نور الدين)، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد– الأردن، 2016.ص 160.

[29]– عرفات فيصل المنّاع، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ط1، لندن، 2013، ص109.